مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2024 المجلد: 07 العدد: 01 ص.ص: 117-152

مظاهِر الحركة العِلمِية المالكية في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس خلال القرنين (3-6هـ/9-12م).

Manifestations of the Scientific Activity of Malikits in the islamic magureb and andalosia During the centuries 3-6 AH/ 9-12 AD

خنوف شعيب، المركز الجامعي العقيد سي الحواس –بريكة –(الجزائر).

choayb.khenouf@cu-barika.dz

تاريخ إرسال المقال: 04-01-2024 تاريخ قبول المقال: 12-02-2024

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان مظاهر الحركة العلمية المالكية في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس خلال القرنين (3-6هـ /9-12م)من خلال إبراز مناطق تمركز النشاط العلمي في العدوتين المغربية والأندلسية ،وكذا مساهمة الرحلة إلى بلاد المشرق الإسلامي ولقاء الشيوخ في إثراء الساحة العلمية بإنتاجاتهم الفكرية والعلمية، وكذا دور المؤسسات والمراكز العلمية في الدفع بالحركة العلمية من خلال اسهامات العلماء في التدريس و نشر العلم وتأليف المصنفات وعقدهم لمجالس العلم والمناظرات، بالإضافة إلى بروز الأُسر والبيوتات العلمية التي توارثت العلم والمناصب كالطب والقضاء والحسبة وغيرها ، الأمر الذي ساعد على كثرة الإنتاج العلمي وتنوعه و نتج عنه أيضا تعدد التخصصات العلمية ببلاد المغرب الإسلامي والأندلس.

كلمات مفتاحية: الحركة العلمية ،المالكية ،المغرب الإسلامي والأندلس.

Abstract: The aim of this research is to demonstrate the The aim of this research is to demonstrate the manifestations of the Maliki scientific movement in the Islamic Maghreb and Andalusia during the two centuries (3-6 AH / 9-12 AD) by highlighting the areas of concentration of scientific activity in the Maghreb and Andalusia countries, as well as the contribution of the scientific journey of the scholars of the Islamic Maghreb and Andalusia to the countries of the Levant Islamic in enriching the scientific arena with their intellectual productions, as well as the active role of scientific institutions and centers in raising the scientific level through the contributions of scholars in teaching, spreading knowledge and writing books, in addition to the emergence of scientific houses that occupied positions such as medicine, judiciary, etc., which helped in the abundance and diversity of scientific production as well The multiplicity of scientific disciplines in the Islamic Maghreb and Andalusia.

Keywords: scientific life, the Malikis, the Islamic Maghreb and Andalusia.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2024 المجلد: 07 العدد: 01 ص.ص: 117-152

مقدمة:

شهدت بلاد المغرب الإسلامي والأندلس خلال القرنين 3-6الهجريين /9-12الميلاديين نهضة علمية كبيرة جعلتها قبلة لطُلاب العلم والمعرفة ، وزادت لنشاط عُلماء المالكية وإنتاجهم العلمي اتساعا وللفقه رسوخا وانتشارا ، ومن هذا المنطلق يحق لنا أن نتساءل : ماهي أهم مظاهر الحركة العلمية المالكية ببلاد المغرب الإسلامي والأندلس خلال القرنين 3-6هـ/9-12م ؟وكيف ساهمت في تنشيط الحركة العلمية بالعدوتين المغربية والأندلسية .؟.

المبحث الأول: مناطق تمركز النشاط العلمي المالكي في بلادالمغرب الإسلامي والأندلس خلال القرنين 3-6هـ/9-12م:

المطلب الأول : في بلاد المغرب الإسلامي :

تركز النشاط العلمي المالكي بالمغرب الإسلامي في ثماني (08)مدن كبرى ببلاد المغرب الإسلامي [1]قبل القرن السادس الهجري /12م ،وهي :مدينة القيروان[2] ،وطرابلس[3] ،وتيهرت، وتنس ، وبجاية [4]، وفاس[5] ، ومراكش[6] ، وطبنة ، بالإضافة إلى بعض المدن التي كان بها نشاط

[1]-للإشارة فقط إلى أن هذه المدن والحواضر لم تقم في زمن واحد ،بل هناك مدن قامت في القرن الأول الهجري كالقيروان ،وهناك من تأسست في القرن الثاني كتيهرت وفاس ،وهناك من المدن من قامت في القرنين الرابع والخامس كبجاية ومراكش .

[2]- القيروان :لفظ معرب ،وهو بالفارسية كاروان ،وهي مدينة عظيمة بافريقية ،وليس بالغرب مدينة أجل منها ،ومصرت في الإسلام أيام معاوية رضي الله عنه ،ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبدالله :**معجم البلدان** ،د.تح ،دار صادر ،د.ت.ن،ج4،ص:420.

[3]- طرابلس:بالرومية والاغريقية ثلاث مدن ،سماها اليونانيون طرابيلية وذلك للغتهم ،وتسمى مدينة اياس وهي على شاطئ البحر ،بها اسواق حافلة جامعة وبها مسجد يعرف بسجد الشعاب ،وهي كثيرة الثمرات والخيرات .،ياقوت الحموي:نفس المصدر ،ج4،ص:25-26.

[4]- بجاية :مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب ،وتسمى كذلك الناصرية نسبة الى بانيها ،كان اول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين سنة 457هجرية ،بينها وبين جزائر بني مزغناي اربعة ايام ،كانت قديما ميناءا فقط ثم بنيت المدينة ،وهي في سفح جبل شاهق وفي قبلتها جبال كانت قاعدة ملك بني حماد بينها وبين ميلة ثلاثة ايام ..."،انظر : ياقوت الحموي:نفس المصدر ،ج1،ص339.

[5]- فاس:مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ،وهي حاضرة البحر واجل مدنه قبل ان تختط مراكش ،وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة في جنبيها لى الجبل حتى بلغت مستواها من راسه وقد تفجرت كلها عيونا تسيل غلى قرارة واديها الى نهر متوسط منبسط على الارض منبجس .،ياقوت الحموي :نفس المصدر ،ج4،ص230.

[6]- مراكش:مدينة بالمغرب,هي في البر الاعظم بينها وبين البحر عشرة ايام في وسط بلاد البربر ،وكان اول من اختطها يوسف بن تاشفين في حدود 470هـ،وبينها وبين جبل درن ثلاثة فراسخ .،ياقوت الحموي :نفس المصدر ،ج5،ص94.

ضئيل مقارنة بالمناطق الكبرى .والملاحظ أن أغلب هذه المدن هي عواصم لكيانات سياسية قامت ببلاد المغرب الإسلامي .

المطلب الثاني :في بلاد الأندلس :

وفيما يخص بلاد الأندلس [1]،فقد تركز النشاط العلمي المالكي بها في ثلاث مدن كبرى ،وبالدرجة الأولى في مدينة قرطبة[2] عاصمة الخلافة الأموية بالأندلس ثم اشبيلية[3] ثم غرناطة[4].بالإضافة الى بعض الحواضر العلمية كاقليش[5] ومدينة الزهراء [6] ،التي كان لها دور

[1]–الأندلس : قال عنها أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري الجُغرافي : "...وإسم الأندلس في اللغة اليونانية إشبانيا ،والأندلس بُقعة كريمة طيبة كثيرة الفواكه ،والخيرات فيها دائمة ،وبها المدن الكثيرة والقواعد العظيمة ،وفيها معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزئبق واللازورد والشب والتوتيا والزاج والطفل ...وقيل اسمها – الأندلس – في القديم إبارية ،ثم سميت بعد ذلك باطقة ،ثم سميت إشبانيا من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه إشبان ،وقيل سميت بالإشبان الذين سكنوها في الأول من الزمان ،وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها " .، أنظر:الحِميري أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم:**الروض المعطار في خبر الأقطار**،تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ، ط02،دار الجيل ،بيروت ،لبنان،1988م ، ص 7-8.،و قال عنها الجغرافي ياقوت الحموي: "...وصفها كثير، وفضائلها جمة، وفي أهلها أئمة وعلماء وزهاد ولهم خصائص كثيرة ومحاسن لا تحصى وإتقان لجميع ما يصنعونه" أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 262.

[2]–قرطبة :مدينة عظيمة بالاندلس وسط بلادها ،وبها كانت ملوك بني امية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء .،ياقوت الحموي، المصدر السابق ،ج4،ص342.

[3]–اشبيلية :مدينة بالاندلس ،وليس بالاندلس اليوم ((زمن ياقوت الحموي))اعظم منها تسمى حمص ايضا ،وبها قاعدة ملك الاندلس ،وعملها متصل بعمل لبلة ،وهي غربي قرطبة ،بينهما ثلاثون فرسخا ،وهي قريبة من البحر تطل عليها جبل الشرف .،ياقوت الحموي، المصدر السابق ،ج1،ص195.

[4]–غرناطة :مدينة من اقدم مدن كورة البيرة من اعمال الاندلس واعظمها واحسنها واحصنها يشقها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم ،وعرف كذلك بنهر حدارة ،ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الاندلس ،وسمي البلد لحسنه بذلك .،ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج4،ص342.

[5]– اقليش : مدينة بالأندلس ،من أعمال طليطلة ،ينسب اليها الكثير من العلماء .،انظر :ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج1،ص237.

[6]–الزهراء :بناها عبدالرحمن الناصر لدين الله (ت 350هـ/963م)،وهي اغرب وابدع مابني في الاسلام ،وأعجب ما فيها بيت بني في خمس وعشرين سنة ،وكان له مجلس القيليق،وكان سمكه من الذهب والزجاج الغليظ الصافي وحيطانه مثل ذلك ،وكانت له قراميد من الذهب والفضة ،ومن هذه المدينة ((تفرعت علوم كثيرة وفنون جمة وهي مدينة علم الاندلس ،وقد ذكر أن المستنصر بالله امر ونادى في ازقة قرطبة ألا يتعمم رجل لا يحمل جامع المدونة حفظا وفقها ،قال :فتعمم فيها ثلاث مائة رجل ونيف ،فما ظنك بغيرها من العلوم والفنون)) .،الزهري أبوعبدالله بن محمد بن ابي بكر :**كتاب الجعرافية**،تح.محمد حاج صادق ،د.ط،مكتبة الثقافة الدينية ،مصر ،د.ت.ن،ص ص87-88.

بارز في تكوين الطلبة ونشر العلم عن طريق الدروس والحلقات العلمية ،وكذا المناظرات بين العلماء ،ومن هذه المدن الأ ندلسية أيضا نجد مدينتي جيان [1]وبطليوس[2] .

ويليق بنا أن نورد في هذا السياق شهادة المؤرخ المقري التلمساني صاحب النفح التي تدل على اهتمام أهل الأندلس بالعلوم وتمكنهم فيها حيث يقول: "...وأما حال أهل الأندلس في فنون العلوم، فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجتهد أن يتميز بصنعه، ويربأ بنفسه أن يرى فارغا عالة على الناس، لأن هذا عندهم في نهاية القبح، والعالم عندهم معظم عند الخاصة والعامة،يشار إليه ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس"[3].

وقال في موضع آخر أيضا ما مفاده أن "أهل الأندلس من الله عليهم من توقد الأذهان، والحرص على طلب العلم"[4]، وأشار في موضع آخر بقوله: "وأهل الأندلس عرب في الأنساب والعزة والأنفة، وعلو الهمم وفصاحة الألسن وطيب النفوس"[5]. ، ونقل صاحب النفح أيضا عن الحجاري في قوله "الأندلس عراق المغرب، عزة أنساب ورقة آداب، واشتغالا بفنون العلوم، وافتنان في المنثور والمنظوم"[6].

[1]- جيان :مدينة لها كورة واسعة بالاندلس تتصل اعمالها باعمال تطيلة ذات فواكه عذبة .مبنية على نهر كبير ،وهو نهر منبعث من جبال القلاع ،وقد انفردت بصناعة السمور ولطف تدبيره تقوم في طرزها بكمالها منفردة النسج في منوالها ،ياقوت الحموي: معجم البلدان ،ج2،ص195.

[2]-بطليوس :مدينة كبيرة بالاندلس من اعمال ماردة على نهر انة غربي قرطبة ولها عمل واسع .ينسب اليها خلق كثير من العلماء .ياقوت الحموي،نفس المصدر ،ج1،ص447.

[3]- المقري: نفح الطيب ، ج1، ص 220.

[4]- المقري: نفس المصدر، ج3، ص 150.

[5]-المقري:نفح الطيب، ج3، ص ص 150-151.

[6]-المقري: نفس المصدر ، ج3، ص155.

كما شهدت الجزيرة الخضراء ظهور عدة مدن، ولعل من أبرزها مدينة قرطبة، "قاعدة الأندلس، وأم مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين بها، وصفها الحميري الجغرافي (كان حيا سنة 866هـ) بقوله: "...وهم –أهل قرطبة– أعلام البلاد وأعيان الناس، اشتهروا بصحة المذاهب، وطيب المكسب وعلو الهمة، وجميل الأخلاق، وكما فيها أعلام العلماء وسادة الفضلاء"[1].

وقد حفظت لنا كتب التراجم أسماء كثيرة جدا من علماء بلاد الأندلس، بما فيها مدينة قرطبة، وأيضا العلماء الوافدين عليها من المشرق، ومكة، والمدينة المنورة، ومصر، وخراسان، وبخارى وغيرها من بلاد فارس، فضلا عن بلاد المغرب الإسلامي كالقيروان وتنس ووهران وطنجة وسبتة وغيرها.

ففي **قرطبة** حاضرة بلاد الأندلس، عرفت إقبالا كبيرا للعلماء والأدباء والشعراء، وأقام بها الخلفاء الأمويون المساجد التي بلغت الأربعمائة وإحدى وتسعون مسجدا[2]. بالإضافة إلى الجامع الذي "عُد من أجل مصانع الدنيا كبر مساحة، وإحكام صنعة، وجمال هيئة، وإتقان بنية"[3]، وقد ورد هذا في أبيات شعرية لابن المثنى يمدح فيها الخليفة الأموي عبد الرحمن الأوسط عندما بنى وشيد المساجد الكثيرة وزاد في جامع قرطبة فيقول:

بنيت خير بيـــــــت يخرس عن وصفة الأنام
حج إليه بكـــل أوب كأنه المسجد الحـــــرام
كان محرابه إذا مـــــا حف به الركن والمقـــام[4].

ويقول المؤرخ ابن سعيد المغربي: "...ولأهلها – أي أهل قرطبة– رياسة ووقار، ولا تزال سمة العلم والملك متوارثة فيهم"[5]. ولما كان من حال حكام بني أمية في الأندلس مع العلم والعلماء فـ "كبرت الهمم وترتبت الأحوال، وكانت قواعدهم إظهار الهيبة، ومراعاة أحوال الشرع في كل

[1]–الحميري: كتاب الروض المعطار ، ص ص 153–154.
[2]– الحميري: نفس المصدر ، ص 157.
[3]– الحميري: نفس المصدر ، ص154.
[4]–المقري: نفح الطيب، ج1، ص ص 347–348.
[5]–المقري: نفح الطيب ، ج1، ص154.

الأمور، وتعظيم العلماء والعمل بأقوالهم وإحضارهم في مجالسهم واستشارتهم"[1].فأقاموا خزانة الكتب والتي اعتبرت من أجل خزائن العالم الإسلامي، ولم تزل إلى غاية انقراض دولتهم واستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس فذهبت كتبها"[2].

إن هذه المدن والحواضر كانت الأكثر استقطابا للعلماء وطلبة العلم من المشرق الإسلامي ومن وإلى بلاد المغرب الإسلامي والأندلس. وأما عن المدن الأخرى فقصدها الطلبة إما لأن بها مراكز علمية ،أو لاشتهار بعض العلماء الأكابر بها .

المبحث الثاني :المؤسسات والمراكز العلمية ببلاد المغرب الإسلامي والأندلس خلال القرنين 3-6هـ/9-12م:

عرفت بلاد المغرب الإسلامي والأندلس وجود مؤسسات علمية كثيرة ،وقدرات بشرية كبيرة ساهمت في انتعاش الحركة العلمية بها ،و كانت مقتصرة على المساجد بالدرجة الأولى ،التي –المساجد – جمعت بين العبادة والنشاط العلمي ،بالإضافة إلى الكتاتيب والأربطة والزوايا.وأما عن المدارس فلم تكن هناك مدارس قبل القرن 6هـ/12م حتى مجيئ الموحدين ،بدليل قول المؤرخ المقري التلمساني الذي أشار إلى إنعدام المدارس التي تستقطب طلاب العلم في الأندلس وهو ما يعزز التخمين بانحصار التعليم في المساجد بالدرجة الأولى ،فقال: ((...ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة، فهم يقرؤون لأن يعلموا، لا لأن يأخذوا جاريا))[3].

المطلب الأول: الكتاتيب:

الكُتاب هو المرحلة الأولى من التعلم، ورد ذكره مرات عديدة في كتاب رياض النفوس للمالكي، وهو المكان الذي يرتاده الأطفال ويشرف عليهم معلم أو مؤدب، ويكون عادة حافظا للقرآن وقواعد قراءته مع معرفته باللغة العربية وآدابها[4].

[1]– المقري: المصدرالسابق ، ج1، ص 54.
[2]– المقري: المصدرالسابق ، ج1، ص220.
[3]– المقري: المصدرالسابق ، ج1، ص 220.
[4]– المالكي :المصدر السابق،ج1،ص:91.

وقد أشار المؤرخ المالكي إلى وجود هذا النوع من المؤسسات التعليمية منذ العهد الأول من الحضور الإسلامي بالمنطقة ،نقلا عن أبي الحسن الدارقطني بإسناد يتصل بغياث بن أبي شبيب فقال :"كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله يمُر بنا ونحن غلمة بالقيروان ،فيسلم علينا ونحن في الكُتَّاب ،وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه "[1].

وتواصل وجود المؤدبين في كل العهود وفي كل الأماكن من بلاد المغرب الإسلامي،وهو ما يشير إليه أيضا المالكي صاحب رياض النفوس في ترجمة أسد بن الفرات (ت213هـ/827م) وهو يتحدث عن نفسه فيقول "لما بلغت ثماني عشرة سنة علمت القرآن ببجردة "[2]، (أي في شمال إفريقية) وهو ما يدل على وجود الكتاتيب في إفريقية .ونظرا لإهتمام أهل المغرب الإسلامي بالتعليم والمعلمين وضع الإمام سحنون (ت 256هـ/870م)تأليفا في شأن الكُتاب و المعلمين والتلاميذ وأنواع العلوم المدروسة في هذه المرحلة وهو معروف ومطبوع بعنوان "آداب المُعلمين "وقد قام أبو الحسن القابسي (ت 403هـ/1012م)باتباع نفس الطريقة في الإعتناء بشؤون الكتاتيب فألف كتابا في نفس هذا الموضوع .

والملاحظ على هؤلاء المؤدبين أنهم كانوا لا يقتصرون على تعليم التلاميذ بالكُتاب ،بل يذهبون إلى دُور الأغنياء والأمراء لتلقين أبنائهم المبادئ الأولى للتعليم الديني ولا سيما القرآن ،فقد نقل لنا المالكي أيضا قول أبي الربيع سليمان بن محمد في شأن إبراهيم القصري المؤدب(ت334هـ/945م) " كنت أدخل إليه – إبراهيم القصري _وهو يُعلم الصبيان في القصر"[3]، وهذا القصر هو دار مُلك بني الأغلب قبل إنتقالهم إلى رقادة سنة 264هـ/878م.

كما أصبح بإمكان المؤدب علاوة على تعليمه القرآن يدرس علوما أخرى وهذه العلوم ذكرها ابن سحنون في كتابه فقال : ((...وينبغي أن يعلمهم –الصبيان–الحساب وليس ذلك بلازم إلا أن يشترط ذلك عليه وكذلك الشعر والغريب والعربية والخط وجميع النحو وهو في ذلك متطوع وينبغي له أن يعلمهم إعراب القرآن وذلك لازم له والشكل والهجاء والخط الحسن

[1]– المالكي :المصدر السابق،ج1،ص:91.

[2]– المالكي :المصدر السابق،ج1،ص:254-255.

[3]– رويس منير : الحياة الثقافية والعلمية بإفريقية من خلال كتاب رياض النفوس ،جامعة تونس،1988م، ص:123-124.

والقراءة الحسنة والتوقيت والترتيل يلزمه ذلك ولابأس أن يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فُحش من كلام العرب وأخبارها وليس ذلك بواجب عليه))[1]، وهو ما يدل على وجوب إلمام المعلم بعلوم أخرى بالإضافة إلى القرآن الكريم .

وبذلك يكتسب التلميذ ثقافة أولية تمكنه من مواصلة تلقي العلوم بعد أن حفظ أصل الدين الإسلامي وهو القرآن وطريقة قراءته وفهمه بواسطة اللغة العربية وآدابها .

كما خصص الإمام ابن سحنون فصلا كاملا سماه "ماجاء في إجارة المعلم ومتى يجب""[2] .

من خلال ما تقدم ، يمكن القول بأن التعليم بالكتاتيب هو التعليم الذي أكد على مدى مُساهمة العُلماء والمعلمين في نشر العلم والتكفل به باعتباره واجبا دينيا وأنه يعد من أهم مراحل التعليم الهامة التي تؤهل الطفل أو التلميذ أو الطالب للالتحاق بمؤسسات التعليم الأخرى كزوايا ومدارس وغيرها وهذه المؤسسة ساعدت على إقامة علاقات بين العلماء والطلبة من خلال طلب العلم ونشره ،وهو ما يعكس دور الكتاتيب في تكوين طلبة العلم ودعم الحياة الثقافية ببلاد المغرب الإسلامي والأندلس.

[1]– محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلمين، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م، ص:87.

[2]– الإمام سحنون: المصدرالسابق،ص:82.، وكانت هذه هي أهم العلوم التي كان يتلقاها الصبيان في الكتاتيب بالمغرب الإسلامي وهذا ما أكده المؤرخ أ بو بكر ابن العربي (ت 543هـ/ 1145 م) من خلال ذكره للمنهاج التعليمي الواجب إتباعه في التعليم فيقول –ابن العربي – بأنه :" ...من الواجب على الولي في الصبي المسلم ،أبًاكان أو وصيا ،أوحاضنا ،أو الإمام ،إذا عقل أن يُلقنه الإيمان ،ويعلمه الكتابة ،والحساب ،ويحفظه أشعار العرب العاربة ،ويُعرفه العوامل في الإعراب ،وشيئا في التصريف ،ثم يحفظه إذا استقل واشتد في العشر الثاني كتاب الله ،وهو أمر وسط بيننا وبين أهل المشرق ،ثم يحفظه أصول سنن الرسول ،وهي نحو من ألفي حديث في الأبواب ،تضمنها البُخاري ومسلم ،هي عماد الدين ،ويأخذ هو بعد ذلك نفسه بعلوم القران ومعاني كلماته ،ولايشتغل برواية الحديث من كل كتاب فالباطل فيه كثير ،وما الصحيح من حديث النبي إلا كنقطة في بحر وليحذر كتب الصالحين ،ومن ينتمي إلى الوعظ ،....ولا يُفرط في علوم الفرائض فإنها أصل الدين ،وهو أول ما يذهب إليه من المسلمين ،فالسنة يفرضها وبالحساب يقسمها ،ولا يخلي نفسه عن الأنساب ،ولا عن شيء من أصول الطب ،ويتخذ عبارة الرؤيا أصلا ،ولا يقل متى أحصل هذا ؟فإنه ليس المطلوب منها الغاية ،فإنها لا تنالها إلا الأفراد ،وإنما ينبغي لكل عاقل أن يتفحص بجزء جزء منها ،ولا يفرد نفسه ببعض العلوم ".،ابن العربي :العواصم والقواصم ،ج2،ص:370-371.

المطلب الثاني : المكتبات

يعتبر نشاط المكتبة مظهرا من مظاهر الفعل الثقافي حيث أنها احتلت مكانة كبيرة لدى المسلمين .ونتيجة لذلك فقد أدرك المسلمون منذ وقت مبكر حاجاتهم إلى خزائن الكتب كوسيلة لنشر العلم والمعرفة بالإسلام فبادروا بإنشائها وتعميرها بكميات وافرة من الكتب كأماكن تتيسر فيها سبل البحث والتدريس والتعليم ودراسة مختلف العلوم وحيث كان نشر العلم وتعميمه من أبرز الخصائص التي اشتهرت بها بلاد المغرب الإسلامي والأندلس.

ويعود سبب إنشاء مثل هذا النوع من المراكز الثقافية لتسهل على الطالب إيجاد المعلومات التي تلزمه لكتابة بحثة أو مشروعه بحيث يمكنه الإطلاع عليها والبحث فيها، مما أصبحت نتيجة ذلك مرجعا للطلبة والعلماء ولعناية الأمويين بالخصوص بالغرب الإسلامي بهذه المؤسسات امتلأت خزائنها بالكتب مع ازدياد نشاط حرفة الوراقة، وهذه الحركة أصبحت تعد من أهم الموارد التي ساهمت في تقديم ركيزة قوية للحركة الفكرية في الغرب الإسلامي.

وكانت هذه المكتبات والخزائن المتواجدة في قصور الخلفاء والأماكن العامة بمختلف العلوم العلمية التي كانت تصدر في جميع أنواع العلوم والفنون حتى بعد القرن الخامس الهجري ،وهذا ما أكده المؤرخ المراكشي بقوله:" فجاء الكتاب لا نظير له في فنه، رأيته في خزانة بني عبد المؤمن"[2]،فالنص وإن كان يقصد الموحدين إلا أنه يدل دلالة صريحة على وجود الخزائن والمكتبات في بلاد الغرب الإسلامي.

وعندما أخذت الحركة العلمية في المغرب الإسلامي بالإزدهار و الإنتشار وتزويدها بالكتب المختلفة زاد عددها ،فظهرت بها أنواع من المكتبات عملت على إمداد الطلبة بالمادة العلمية التي كانت تمارس في معظم الأوقات ومن بين هذه المكتبات التي برزت في المغرب الإسلامي والأندلس نجد :

---

[2]- المراكشي عبد الواحد بن علي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،ط01،المكتبة العصرية ،بيروت ،لبنان،2006م،ص:140.

أ-**مكتبات المساجد أو الجوامع:** اتسع نشاط هذا النوع من المكتبات خاصة وأن المسجد يُعد مؤسسة ثقافية دينية في نشر الدين والعلم ، لذلك فلا ننكر أنه لم يخلو أي مسجد من مساجد الغرب الإسلامي من مكتبة تحتوي على مجموعة من الكُتب يرجع إليها الدارسون والقُراء .

ولا تسعفنا المصادر التاريخية في معرفة أول مكتبة مسجدية أنشئت في الغرب الإسلامي وتحديد مكان وتاريخ إنشائها بالضبط ،ومع ذلك يمكن القول بأن مكتبة المسجد ظهرت للوجود منذ أن اتخذ المسلمون المسجد مكانا للدراسة ،فلا دراسة بدون كتب[1].

ومن أشهر مكتبات المساجد في الأندلس مكتبة جامع قرطبة ومكتبة جامع طليطلة ،وقد كان لحلقات الدروس والبحث التي تعقد في جامع طليطلة شهرتها وأهميتها ومكانتها التي جذبت الطلاب من كل مكان .

ومن بين هذه المكتبات التي برزت في الغرب الإسلامي نجد :

أ-**مكتبة الحكم المستنصر بالله (ت 366هـ/975 م):** وهي المكتبة التي تتوفر على الآلاف من الكتب والتي أورد عنها ابن حزم من أن فهارس تسمية الكتب أربعا وأربعين فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ،ليس فيها إلا أسماء الدواوين "[2]،هذا بالنسبة لأسماء الدواوين فما بالك بعدد أسماء الكتب والمؤلفات ؟؟؟؟.

ب-**المكتبات الخاصة** :ويُقصد بها المكتبات التي تخص أفراد معينين ،أقاموها على نفقتهم الخاصة ولفائدتهم ولمصلحتهم الشخصية،فقد درج أهل الغرب الإسلامي على حب الكتب والإهتمام بجمعها وإنشاء المكتبات الخاصة للتباهي بها ،وقد ساعدها إنتشار استعمال الورق ،بالإضافة إلى الرقي الحضاري الذي مس المدن الأندلسية الكبرى مثل مدينة قرطبة وغيرها [3].

ج -**مكتبة الفقيه أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس (ت 402هـ/1014م):** من كبار المحدثين، وصدور العلماء المسندين، حافظا للحديث وله مشاركة

---

[1]- حامد الشافعي دياب:الكتب والمكتبات في الأندلس ،ط01،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،1998م، ص:94.

[2]- ابن حزم:جمهرة أنساب العرب ،ط05،دار المعارف ،مصر،1962م، ص:100.

[3]- محمد إبراهيم زغروت: مكتبة الأمويين الإسلامية في قرطبة وتأثيرها الفكري في شعوب غرب أوروبا ،مجلة البحوث الإسلامية،2006 ،ع17،ص:338-339.

في سائر العلوم، قال عنه المؤرخ ابن فرحون :((وجمع من الكتب في أنواع العلماء مالم تجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس وكان له ستة وراقين، ينسخون له دائما، وكان قد رتب لهم راتبا معلوما، وكان لا يسمع بكتاب حسن إلا اشتراه أو استنسخه، ولما توفي اجتمع أهل قرطبة لبيع كتبه فأقاموا في بيعها مدة عام كامل في المسجد، فاجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار، قاسميه يبلغ صرفها ثمانمائة ألف درهم)) [1].

وتشير المستشرقة الألمانية زيغريدهونكة إلى أنه كان يوجد في مدينة قرطبة لوحدها "عشرون مكتبة "[2].

وتجدر الإشارة إلى أن ظاهرة جمع الكتب واقتنائها لم تكن حكرا على الأمراء والخلفاء فقط ،وإنما شملت الفئات الأخرى من الشعب الأندلسي ،حتى أصبحت عملية إقتناء الكُتب علامة مميزة من علامات السُؤدد والرفعة ،لا يستغني الرجل منهم عن تأسيس مكتبة في بيته حتى وان لم يكن على قدر مناسب من المعرفة. [3].

ومما يدل على حب أهل قرطبة للكتب واهتمامهم بجمعها ما ذكره المؤرخ المقري على لسان "أبي يحي الحضرمي "الرحالة المشهور وجماع الكُتب الذي غشي سوق الكتب في قرطبة لشراء أحد الكُتب ،فقال الحضرمي :((**أقمتُ مرة بقرطبة ولا زمتُ سوق كتبها مدة ،أترقب وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء إلى أن وقع وهو بخط فصيح وتسفير مليح ،ففرحت به أشد الفرح،فجعلت أزيد في ثمنه،فيرجع الي المنادي بالزيادة علي ،إلى أن بلغ فوق حده ،فقلت له :ياهذا ،أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه مالا يساوي ،قال:فأراني شخصا عليه لباس رياسة ،فدنوت منه وقلت له:أعز الله سيدنا الفقيه ،إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك ،فقد بلغت فيه الزيادة بيننا فوق حده،فقال لي :لست بفقيه ،ولا أدري ما فيه ،ولكني أقمت خزانة كُتب ،واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب ،فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد ،إستحسنته،ولم أبال بما أزيد فيه**)) [4].

---

[1]- ابن فرحون :المصدر السابق ،ص:245-246.

[2]- زيغريدهونكة: شمس العرب تسطع على الغرب ،ط 08،دار الجيل دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،لبنان،1993م، ص:499.

[3]- حامد الشافعي :المرجع السابق،ص:96.

[4]- المقري :المصدر السابق،ج1،ص:463.

توضح هذه القصة ماكان عليه سوق الكتب في قرطبة ببلاد الأندلس من رواج ،وأيضا جمع الكتب واقتنائها لم يكن بغرض العلم دوما بل يُقصد به الترف والجاه والتباهي أحيانا .

ونظرا لما شهدته هذه الحواضر من مكتبات وما توفرت عليه كتب قيمة في مختلف العلوم خاصة العقلية والنقلية والدراسات التي يتمتع بها العلماء والفقهاء فقد بلغ الإهتمام بها إلى حد نزع ملكية المكاتب من أصحابها وذلك خوفا من ضياعها والإحتفاظ بها في مكتبتهم من أجل حمايتها[1]،كما كان هؤلاء يفضلون مطالعة الكتب ويعتقدون أن الأُنس بها أقرب إلى القلب من الأنس بذوي السُلطان والجاه. كما وصل إهتمام الخلفاء بجمع الكتب على حرص العلماء على إهداء ما يؤلفونه لهم لإيداعه في خزائنهم حيث أنهم كانوا يتسابقون في هذا الإهداء بسبب علمهم بحب الخلفاء للعلم والسعي وراء كل ماهو جديد الذي يصدر في دروب المعرفة، وقد كانت هناك أيضا كتب ترد على شكل هدايا من الحكام الذين عاصروا الدولة الأموية بالأندلس ومثال على ذلك: إرسال الخليفة المستنصر إلى الآفاق من أجل البحث عن الكتب ونسخها وجلبها إلى الأندلس من أجل وضعها في خزانته العامرة،يقول صاعد الطليطلي :((...واستجلب – المستنصر بالله – من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة ،وجمع فيها في بقية أيام أبيه ثم في مدة ملكه من بعده ما كان يضاهي ما جمعه ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة))[2].، وكذلك نجد الأصفهاني الأموي القُرشي الذي أرسل كتابه ((الأغاني))للخليفة المستنصربالله(ت366هـ/978م) بالأندلس قبل صدوره بالعراق ،فكافأه الحكم بإرساله ألف دينار عينا ذهبا))[3].،وألف له أيضا –الأصفهاني –كتابا في أنساب قومه بني أمية موشحة بمناقبهم وأسماء رجالهم فأحسن فيه وأجاد ،وخلد مآثرهم ،وأرسل به إلى قرطبة ،وأرسل معه قصيدة حسنة من شعره ،فجدد له الحكم المستنصر على الكتاب الصلة الجزيلة "[4].

[1]- حامد الشافعي:المرجع السابق،ص:100-101.

[2]- صاعد الأندلسي: طبقات الأمم ،ط01،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان، 1985، ص:162.

[3]- ابن الابار :المصدر السابق،ص:202-203.

[4]- ابن الابار :المصدر السابق،ص:202.

وكانت هذه المكتبات مفتوحة للجميع وبفضل ما ضمته من كتب في مختلف العلوم والدراسات فقد ساهمت مساهمة فعالة في تثقيف المجتمع كما أنها كانت ميسرة لجميع الطلبة والاستفادة مما هو موجود بها وإعارتها إلى البيوت للاطلاع عليها أو أخذ النسخ منها لتدوين كل ما يستحقه التلميذ أو الطالب من معلومات التي تخص كتابة موضوعه أوبحثه[1].

ومنه نخلص إلى أن المكتبات وما قدمته من كتب ساهمت في تنوير المجتمع كما عملت على إمداد الحركة العلمية التي مكنت الطلبة والعامة من الرجوع إليها بإعتبارها مخزون ثقافي شمل أنواع العلوم مما جعلها – المكتبات –محل اهتمام الخُلفاء المسلمين اهتماما كبيرا.

المطلب الثالث: المساجد

يعتبر المسجد أول معهد للعلم مع بداية انتشار الإسلام، فلم تقتصر المساجد على العبادة فقط، بل كانت تؤدي فيها أعمال مختلفة كالقضاء ومعاهد للتدريس، كما كان الصبيان عند انصرافهم من الكتاتيب يلجؤون إلى المساجد الجامعة بهدف التزود أكثر من العلم.

وقد ورد ذكرها –المساجد – في القرآن الكريم، قال تعالى: "في بُيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه يُسبح له فيها بالغُدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة ..."التوبة ،الآية36-37)، وقال تعالى أيضا : "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين"التوبة ،الآية 18، قال المؤرخ ابن كثير (ت774هـ/1348 م): "المساجد أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض وهي بيوته التي يعبد فيها ويُوحد"[2].

[1]– بيدرسنيوهنس:الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصرالطباعة ،د. ط ، ،دار الأهالي للطياعة والنشر والتوزيع ،دمشق،سوريا.1989م، ص:61.

[2]– ابن كثير أبي الفداء اسماعيل: تفسير القرآن الكريم، ط2، دار الإمام مالك، الجزائر،2009م، ص:427.

ولقد حرص المسلمون على بناء المساجد عند اختطاطهم للمدن والأمصار الجديدة، باعتبارها مظهرا من مظاهر سيادة الدين الإسلامي، كما كانت المساجد والجوامع من أعظم معاهد العلم التي عنيت بدراسة الفقه والحديث وغيرها من العلوم، وكانت تستخدم لاجتماع العلماء[1].

وذهب الباحث المغربي محمد المنوني إلى أن بلاد المغرب قد عرفت ظهور المدارس في زمن الموحدين ،وهذا لكونهم –الموحدين – أسسوا المدارس بمدائن سبتة وطنجة وفاس ومراكش ،وهي بدورها أنتجت مدرسين بارعين سابقوا علماء قرطبة وإشبيلية وغرناطة[2].

وفي المغرب الإسلامي والأندلس وجدت مساجد كثيرة، كان لها دور كبير في تكوين الطلبة في شتى العلوم من فقه وتفسير وعقيدة وحديث وعلوم أخرى.

وقد أحصيت وضبطت أكثر من ستين مسجدا موزعة في ربوع بلاد المغرب الإسلامي والأندلس قبل القرن السادس الهجري/12م، وهي موجودة بكثرة في كل من : قرطبة، إشبيلية، صقلية، القيروان، فاس، تونس.

ففي مدينة اشبيلية يوجد بها جامع، بناه الخليفة عبد الرحمن بن الحكم ،قال عنه صاحب صفة جزيرة الأندلس: "وهو عجيب البنيان وجليله، وصومعته بديعة الصناعة، غريبة العمل، أركانها الأربعة عمود فوق عمود إلى أعلاها، في كل ركن ثلاثة أعمدة"[3] .

ومسجد جامع إقليش الذي عد من العجائب، فإن طول كل جائزة من جوائزه مائة شبر وإحدى عشر شبرا، وهي منحوتة مستوية الأطراف .

[1]– حسن ابراهيم حسن:تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، ط 14، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،د،ت.ن،ص:426.

[2]– محمدالمنوني :المرجع السابق ،ص16.

[3]– الحميري:المصدر السابق ،ص20.

ومن مساجد الأندلس أيضا ، نجد مسجد ألبيرة' كورة من كور الأندلس، نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالي عبد الرحمن بن معاوية، وهذا المسجد بناه الإمام عبد الرحمن على تأسيس حنش الصنعاني [1] .

ومسجد عبد الرحمن بن محمد ببطليوس'أنفذ إليه جملة من البناة، وبنيت صومعته بالحجر، كما أقام البناة مسجدا آخر داخل الحصن، بالإضافة إلى تشييد عدة مساجد بعده ببطليوس[2] .

ومن مساجد الأندلس، نجد مسجد مدينة الزهراء التي بناها الناصر عبد الرحمن بن محمد، بينها وبين قرطبة خمسة أميال، وهي مدينة عظيمة مقسمة إلى ثلاث أقسام، يقع جامعها في الحد الأسفل منها[2] .

ومن مساجد الأندلس، نجد المسجد الجامع بسرقسطة، الذي بناه ووضع محرابه حنش بن عبد الله الصنعاني وعلي بن رباح اللخمي، وهما من جلة التابعين بالأندلس ، وقبراهما فيها- سرقسطة- معروفان بمقبرة باب القبلة[3] .

بالإضافة إلى جامع في شوذر وهي من كور مدينة جيان، وهو يتكون من ثلاث بلاطات على أعمدة من رخام[4] .

وأيضا مسجد في مدينة طرطوشة،يتكون من خمس بلاطات وله رحبة واسعة، بني سنة 345هـ على عهد الخليفة الناصر الأموي والد الخليفة المستنصر بالله[5] .

ومن مساجد الأندلس، المسجد الجامع بقرطبة، قاعدة الأندلس وأم مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين بها، يعتبر هذا المسجد من "أجل مصانع الدنيا، كبر مساحة وإحكام صنعة، وجمال هيئة، وإتقان بنية، اهتم به الخلفاء فزادوا فيه زيادة بعد زيادة، وتتميما إثر تتميم حتى بلغ الغاية من

[2]- الحميري : المصدرالسابق ،ص28.
[2]- الحميري : المصدرالسابق ،ص20.
[3]- الحميري : المصدرالسابق ،ص20.
[4]- الحميري : المصدرالسابق ،ص20.
[5]- الحميري : المصدرالسابق ،ص20.

الإتقان، فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه الوصف، طول مائة باع وعرضه ثمانون باعا، ونصفه مسقف، وعدد قسي مسقفة تسعة عشر قوسا وسواري مسقفة بين أعمدة وسواري قببه صغارا وكبارا مع سواري القبلة الكبرى وما يليها وما يليها ألف سارية، وفيه مائة وثلاث عشرة ثريا للوقيد، وعدد خدم المسجد ستون رجلا وعليهم قائم ينظر في أمورهم"[1] .

وفي هذا المسجد، كانت تعقد مجالس للوعظ من طرف العلماء، من بينهم أحمد بن أيوب بن أبي الربيع الإلبيري الواعظ (ت 432هـ/ 1030 م)، سكن قرطبة، روي عن أبي عبد الله بن أبي زمنين وغيره، سمع من أبي أيوب بن بطال كتاب "الدليل إلى طاعة الجليل"، وكتاب "أدب الهموم"، رحل إلى المشرق ولقي أبا الحسن القابسي بالقيروان وأحمد بن نصر الداودي وغيره، كان أديبا شاعرا، كان له مجلس بالمسجد الجامع بقرطبة يعظ الناس فيه في غاية من الحفل، وكان له مجلس بالمسجد الأعظم بقرطبة يعظ الناس فيه في غاية من الحفل، وكان الناس يبكرون إليه ويزدحمون عليه"[2] .

ومن أئمة هذا المسجد كذلك أحمد بن علي بن أحمد الباغاني المقري (ت 401 هـ/ 1013 م)، قدم الأندلس سنة ست وسبعين وثلاثمائة، وقدم للإقراء بهذا المسجد، واستأدبه المنصور بن أبي عامر لابنه، ثم رقاه المؤيد بالله هشام بن الحكم في دولته الثانية إلى خطة الشورى بقرطبة مكان أبي عمر الإشبيلي الفقيه على يد قاضيه ابن وافد، "كان من أهل الحفظ والذكاء والفهم وكان بحرا من بحور العلم، لا نظير له في علوم القرآن"[3] .

وممن تولي الخطبة والصلاة في المسجد الجامع بقرطبة، إبراهيم بن محمد الحضرمي المعروف بابن الشرفي (ت396هـ/ 1005 م)، روى عن أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم، وأحمد بن المطرف وأبي عيسى الليثي وغيرهم، كان معتنيا بالعلم، مقدما في الفهم، من أهل الرواية والدراية"[4] .

[1]- الحميري :المصدر السابق،ص ص153-154.
[2]- ابن بشكوال ،الصلة،ج1 ،ص89.
[3]- ابن بشكوال:نفس المصدر ،ج2،ص142.
[4]- ابن بشكوال:نفس المصدر ،ج2،ص147.

ومن المقرئين بالقرب من هذا المسجد الجامع، إبراهيم بن مبشر بن شريف البكري (ت395هـ/ 1004 م)، بالإضافة إلى نقط المصاحف وتعليم المبتدئين"[1] .

ومن مساجد قرطبة بالأندلس، مسجد الإسكندراني الذي شغل منصب الإمام به أحمد بن محمد بن خالد الكلاعي المقرئ (ت 432هـ/ 1044م)، والذي كان عالما بالقراءات، معتنيا بتقييد العلم وجمعه ونقله"[2] .

ومن مساجد قرطبة بالأندلس، مسجد بنفسج، أمه المحدث أحمد بن ثابت الواسطي (ت437هـ/ 1049 م) مدة ستين سنة، حدث عنه أبو عبد الله بن عتاب، وهو روى عن أبي محمد الأصيلي"[3] .

ومن مساجد قرطبة بالأندلس أيضا، مسجد غزلان السيدة، الذي يقع داخل المدينة بقرطبة[4]، بالإضافة إلى مسجد اليتيم[5] ، ومسجد الزجاجين[6] ، ومسجد متعة[7]، ومسجد بن أبي عيسى القاضي[8] . ومسجد الزقاق الكبير[9] ، ومسجد سعيد بن عامر وكان إمامه سليمان بن بيطير بن سلمان بن خالد الكلبي (ت 404هـ/ 1016 م)[10] .

ومن مساجد قرطبة بالأندلس، مسجد النخيل ومسجد منظر[11] ،ومسجد أبي علاقة[12] .

[1]- ابن بشكوال:نفس المصدر ،ج2،ص147.
[2]- ابن بشكوال:الصلة،ج1 ،ص89.
[3]- ابن بشكوال:نفس المصدر ،ج 1،ص91.
[4]- ابن بشكوال:نفس المصدر ،ج2،ص ص111-112.
[5]- ابن بشكوال:نفس المصدر ،ج1،ص260-261.
[6]- ابن بشكوال:نفس المصدر ،ج1،ص273.
[7]- ابن بشكوال:نفس المصدر ،ج1،ص281.
[8]- ابن بشكوال:نفس المصدر ،ج1،ص295.
[9]- ابن بشكوال:نفس المصدر ،ج1،ص295.
[10]- ابن بشكوال:نفس المصدر ،ج1،ص ص312-313.
[11]- ابن بشكوال:نفس المصدر،ج1،ص314.
[12]- ابن بشكوال:نفس المصدر ،ج1،ص:347.

ومن مساجد الأندلس أيضا، نذكر مسجد مالقة الذي يقع بالمدينة، والذي بناه الفقيه والمحدث معاوية بن صالح الحمصي، وهو يتكون من خمس بلاطات ولها خمسة أبواب"[1] .

ومن مساجد الأندلس أيضا، جامع جيان، وهو من بناء الإمام عبد الرحمن بن الحكم على يد ميسرة عامل جيان، وهو يتكون من خمس بلاطات على أعمدة من رخام، وله صحن كبير حوله سقائف، ويصعد إليه على درج من جميع نواحيه"[2] .

ومسجد بجزيرة أم حكيم، يقع في وسط المدينة، ويمتاز بحسن البناء، فيه خمس بلاطات وصحن واسع وسقائف من جهة الجوف[3] .

ومن مساجد الأندلس أيضا، نذكر مسجد بجانة، بناه عمر بن أسود، وفيه قبو على قبة فيها إحدى عشر حنية، منضربة على أربعة عشر عمودا، نقش على أعاليه بنقوش عجيبة، وبغربي القبو ثلاث بلاطات أوسع من الشرقية على عمد صخر، وفي الصحن بئر عذبة[4] ."

ومن مساجد الأندلس أيضا، نذكر المسجد الجامع باشبيلية، تولى منصب الإمامة به، الفقيه سعيد بن يحيى بن محمد بن سلمة التنوخي المقرئ (ت 426هـ/ 1038 م)، روى عن ابن أبي زمنين وأبي أيوب الروح وغيرهما، كان من خيار المسلمين وعلمائهم وفضلائهم[5] .

كما كانت تعقد بعض الحلقات لبعض العلماء في المساجد بالمغرب الإسلامي والأندلس، منها الحلقة التي كانت في الجامع في طليطلة، لأحمد بن قاسم بن محمد بن يوسف التجيبي (ت 443هـ/ 1055 م)، روى عن الخشني محمد بن إبراهيم، وعبد الله بن ذنين وغيرهما، كان حافظا للفقه، شاعرا مطبوعا، بصيرا بالفقه وعلله[6] .

[1]- الحميري: المصدر السابق ،ص:178.
[2]- الحميري: المصدر السابق،ص71.
[3]- الحميري :الروض المعطار،ص73.
[4]- الحميري : نفس المصدر ،ص38.
[5]- ابن بشكوال :الصة،ج1،ص342.
[6]- ابن بشكوال :نفس المصدر ،ج1،ص94.

ومن بين مساجد الأندلس، مسجد مسرور بقرطبة، سكن فيه المحدث أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي البزاز (ت 395 هـ/ 1004 م)، قدم قرطبة صغيرا، روى بها عن قاسم بن أصبغ، وأبي بكر أحمد بن الفضل الدينوري وغيرهم، وكان إسماعه في مسجد سريج[1] .

ومن مساجد الأندلس مسجد مكرم، أحد مساجد قرطبة، ذكر ابن بشكوال في ترجمة أحمد بن زكريا المصري المعروف بابن فارة زرنيخ، الذي قدم قرطبة وسكن بغدير ثعلبة، وكانت صلاته بهذا المسجد[2] .

ويبدوا بأنه كانت مساجد أخرى كبرى بقرطبة، لم تذكرها المصادر التاريخية، ونكتفي بشهادة الجغرافي الحميري بقوله "...وعدد المساجد بقرطبة على ما أحصي وضُبط أربعمائة وإحدى وتسعون مسجدا"[3] .

وأما عن مساجد المغرب الإسلامي، وتحديدا إفريقية، فجامع القيروان الذي بناه عقبة بن نافع الفهري (ت 63هـ/840م) [4] سنة ثلاث وخمسين للهجرة، ثم بناه مرة أخرى زيادة الله بن إبراهيم بالصخر والآجر والرخام بعد أن هدمه وبنى محرابه بالرخام وتم بنيانه سنة إثنتين وعشرين ومائتين"[5] .

ومن مساجد المغرب الإسلامي أيضا ، جامع القرويين بفاس ،الذي بنته فاطمة الفهرية أم البنين (ت 255هـ)من أحفاد عقبة بن نافع الفهري ،وجامع عدوة الأندلسيين الذي بنته أختها

[1]- ابن بشكوال : نفس المصدر ،ج2،ص140.
[2]- ابن بشكوال ، نفس المصدر ،ج2،ص141.
[3]- الحميري ، المصدر السابق،ص157.
[4]- لقبال موسى: عقبة بن نافع الفهري ،د.ط،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر،1985م، ص7.
[5]- ابن الابار ، المصدر السابق ،ص164.

مريم الفهرية [1] . ،وجامع مراكش ومكناس وغيرها من جوامع كبريات مدن المغرب الإسلامي الأخرى[2] .

في الأخير ،يتبين لنا أن كُل من المساجد والكتاتيب والمكتبات قد لعبت دورا كبيرا في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية ببلاد الغرب الإسلامي ،حيث بلغ هذا التنشيط العلمي درجة عالية من الرقي الحضاري والثقافي، مما جعل بلاد المغرب الإسلامي والأندلس قِبلة للشباب المتعطش لنيل العلم والمعرفة في شتى التخصصات الإسلامية ، وهو ما نتج عنه أيضا بروز الحواضر العلمية ببلاد الغرب الإسلامي.

المبحث الثالث :المجالس العلمية ببلاد المغرب الإسلامي والأندلس خلال القرنين 3-6هـ/9-12م:

اتخذت مجالس العلم في عمومها من المساجد مقرا لها ،وشملت موضوعاتها العلوم الشرعية بالدرجة الأولى دون علوم الأوائل ،وتولى عقد هذه المجالس علماء كثيرون غالبيتهم من بلاد المغرب الإسلامي والأندلس ،كان لهم الدور الكبير في الرفع من مكانة بلاد المغرب الإسلامي والأندلس العلمية ،وأيضا في تفعيل الحركة العلمية وإثرائها بالكتب والمصنفات .

كما ظهرت مجالس قراءة المُصنفات في مختلف العلوم في مقدمتها كتب الحديث والتاريخ والفقه والتفسير وغيرها ،كماأن ظاهرة قراءة الكتب على مؤلفيها أو على غيرهم من المختصين هي طريقة نافعة ومجدية ،ومن طرق التربية والتعليم التي كانت سائدة عند المسلمين في العصر الإسلامي ،وهي طريقة تسمح للطالب أن يأخذ عن شيخه علمه وأخلاقه مباشرة [3].

المطلب الأول:مجالس للتدريس والمناظرات:

اتخذت مجالس العلم في أشكالا عديدة ،وشملت موضوعاتها العلوم الشرعية بالدرجة الأولى دون علوم الأوائل ،كما كانت تعقد هذه المجالس في غالبيتها في المساجد ،وتولى عقد هذه المجالس علماء كثيرون غالبيتهم من بلاد المغرب الإسلامي والأندلس .

[1]- ابن ناجي ، المصدرالسابق ،ص ص45-46.
[2]- محمد المنوني ،المرجع السابق ،ص25.
[3]-خالد كبير علال ،الحركة العلمية ،ج1،ص148.

ومن هذه المجلس العلمية نجد ،مجلس الفقيه سعيدبن خمير بن عبدالرحمن القرطبي (ت 301هـ/911م)،الذي كان((يجلس بالقرب من المسجد الجامع ويتحلق إليه ،وكان يفتي ويعقد الوثائق)) [1].

ومن الحلقات العلمية والمناظرات الفقهية أيضا ،نجد حلقات الفقيه يحي بن زكرياء بن سليمان بن فطر بن سفيان بن حجاج بن كليب القرطبي (ت 315هـ/927م)، الذي كان ((يُجتمع إليه للسماع منه والمناظرة عنده ،وكان معظما عند العامة والخاصة)) [2].

ومنها أيضا –المجالس العلمية –مجالس المقرئ ابراهيم بن مبشر بن شريف البكري الأندلسي (ت 395هـ/1007م)،الذي كان ((يُقرئ في دكانه قرب المسجد الجامع بقرطبة ،ويعلم المبتدئين ،بالإضافة إلى اشتغاله بنقط المصاحف)) [3].

ومنها مجالس في علم الحديث للمُحدث الجياني الغساني حسين بن محمد بن أحمد (ت498هـ/1103م)،رئيس المحدثين بقرطبة ،((كان من جهابذة المحدثين ،وكبار العلماء المسندين ،عني بالحديث وكتبه ،وروايته وضبطه ،وكان مع ذلك له بصر باللغة والاعراب ،ومعرفة بالغريب والشعر والانساب ،وجمع من ذلك مالم يجمعه أحد في وقته ،جلس للتحديث بالمسجد الجامع بقرطبة ،ورحل الناس إليه وعولوا عليه في الرواية ،وسمع منه أعلام قرطبة وكبارها وفقهاؤها وجلتها)) [4].

ومماتقدم ذكره ،يتبين أن المجالس العلمية في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس على كثرتها [5]،كانت تعقد في المساجد بصفة عامة ،وشملت مختلف العلوم ،كالحديث والفقه والتفسيرومختلف العلوم الشرعية ،وأنها اتخذت أشكالا متعددة كالمناظرات والدروس .وهو ماساهم في تنشيط الحركة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس.

---

[1]–ابن الفرضي:تاريخ العلماء ،ج1،ص ص194-195.

[2]– ابن الفرضي :نفس المصدر ،ج2،ص186.

[3]– ابن بشكوال : المصدرالسابق ،ج2،ص151.

[4]– ابن بشكوال : المصدرالسابق ،ج1،ص ص237-238.

[5]–ابن الفرضي :المصدر السابق ،ج1،ص:210،86،252.ج2،ص:50، 186.،ابن بشكوال ، المصدرالسابق ،ج1،ص ص237-238.،ج2،ص:55.

المطلب الثاني:مجالس لشرح الكتب والمصنفات :

ظهرت ببلاد المغرب الإسلامي والأندلس مجالس لقراءة المُصنفات في مختلف العلوم في مقدمتها كتب الحديث والتاريخ والأدب والفقه والتفسير وغيرها ، كمامثلت ظاهرة قراءة الكتب على مؤلفيها أو على غيرهم من المختصين الطريقة الأنفع والوسيلة الأنجع في تلك الفترة .

ومن بين هذه المجالس العلمية ،نذكر مجلس الفقيه أبي عيسى يحي بن عبدالله بن يحي المثنى الليثي(ت 367هـ/989م) في شرح موطأ الإمام مالك ، والذي قال عنه المؤرخ ابن الفرضي:((**لم أشهد بالأندلس مجلسا أكثر بشرا من مجلسه في شرح المُوطأ،إلا ما كان من بعض مجالس يحي بن مالك بن عائذ**)) .[1] بالإضافة إلى مجلس آخر للفقيه الواعظ أحمد بن أيوب بن أبي الربيع الإلبيري الواعظ (ت 432هـ/1028م)أشار إليه المؤرخ ابن بشكوال بقوله :((**كان له مجلس بالمسجد الجامع بقرطبة يعظ الناس فيه غاية في الحفل ،وكان الناس يبكرون إليه ويزدحمون عليه**)) [2].

ومن الحلقات العلمية أيضا ،حلقة في شرح وتفسير القرآن الكريم ،للفقيه سعدان بن سعيد بن خمير القرطبي ،الذي كان ((يقرأ على الناس كتاب التفسير المنسوب إلى ابن عباس من رواية الكلبي بالمسجد الجامع بقرطبة)) [3].

ومن المجالس العلمية أيضا ،حلقات للفقيه محمد بن زكرياءبن محمد بن جعفر بن أبي الأعلى القرطبي (ت 322هـ/933م)،الذي سمع منه الناس ((تاريخ ابن أبي خيثمة ،وبعض كتب ابن قتيبة الدينوري)) [4]،بالإضافة إلى الحلقات الفقهية للفقيه أحمد بن محمد بن رزق الأموي القرطبي (ت 477هـ/1089م)،الذي كان ((مدار طلبة الفقه بقرطبة ،مدارسة ومناظرة وتفقها)) [5].

ومن المجالس العلمية أيضا ،نجد مجالس الفقيه الواعظ إبراهيم بن محمد بن حسين بن شنظير الأموي الطليطلي (ت401هـ/1013م) الذي ((كانت له مجالس في المسجد الجامع

[1]-ابن الفرضي :المصدر السابق ،ج2،ص ص189-190.
[2]-ابن بشكوال :المصدر السابق ،ج1،ص93.
[3]- ابن الفرضي : المصدرالسابق ،ج1،ص ص214-215.
[4]- ابن الفرضي : المصدرالسابق ،ج2،ص ص44-45.
[5]- ابن بشكوال :المصدر السابق ،ج2،ص ص118-119.

بطليطلة يقرأ عليه وعلى صاحبه الفقيه احمد بن محمد بن ميمون كتب الزهد ،**ورحل الناس إليهما من الآفاق))** [1].

ومن المجالس العلمية في الأدب واللغة ،مجالس اللغوي ثابت بن محمد الجرجاني العدوي ،قدم إلى الأندلس سنة (406هـ/1018م)،((كان إماما في اللغة العربية ،متمكنا في علم الأدب و،كانت له بالأندلس إملاءات لكتاب في شرح الجمل لأبي القاسم الزجاجي)) [2].

ومنها مجالس في اللغة والأدب للأديب أبي العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي (ت 417هـ/1029م)،دخل الأندلس في حدود سنة (380هـ/992م)،في أيام هشام بن الحكم وولاية المنصور محمد بن ابي عامر ،جمع كتابا لمحمد بن أبي عامر سماه "**الفصوص في الآداب والأشعار** "**وأثابه عليه بخمسة آلاف دينار ،وأمره أن يُسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة ، واحتشد الناس له من جماعة الأدب ووجوه الناس**)) [3].

ومنها ايضا مجالس للفقيه أبي المطرف عبدالرحمن بن سعيد بن دنين الصدفي الطليطلي (ت 403هـ/1015م)،الذي كانت تقرأ عليه كتب الزهد والرقائق ،وكان يعظ الناس بها ويذكرهم ، كان الناس يرحلون اليه لسعة روايته وثقته وفضله)) [4].

ومنها أيضا مجالس الفقيه عبدالله بن طالب القاضي (ت 275هـ/892م)،بن عم بني الأغلب أمراء القيروان ((كان يتكلم في الفقه ،ويجمع في مجالسه المختلفين في الفقه ويغري بينهم ،لتظهر الفائدة ،ويسايرهم فإذا تكلم أبان وأجاد ،حتى يود السامع أن لا يسكت ،تفقه على يد سحنون وكان من كبار أصحابه)) [5].

ومن مجالس الحديث أيضا مجلس الفقيه بقي بن مخلد (ت 276هـ/893م)،الذي انفرد بمصنفات علم الحديث التي لم يدخلها الأندلس سواه ك"مصنف أبي بكر بن شيبة بتمامه "،وكتاب

[1]- ابن بشكوال : المصدرالسابق ،ج2،ص ص154-155.
[2]- ابن بشكوال : المصدرالسابق ،ج1،ص210.
[3]- ابن بشكوال :المصدر السابق،ج1،ص ص375-376.
[4]- ابن بشكوال : المصدرالسابق ،ج2،ص ص82-83.
[5]- ابن فرحون :المصدر السابق ،ص202.

"الفقه "للإمام الشافعي ،وكتاب "التاريخ "لخليفة بن خياط ،وكتاب "سير عمر بن عبدالعزيز "للدورقي [1].

ومماتقدم ذكره ،يتبين أن المجالس العلمية في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس ،كانت كثيرة ومزدهرة ،شملت مختلف العلوم ،كالحديث والفقه والتفسير ،وأنها اتخذت أشكالا متعددة كالمناظرات والدروس وقراءة المصنفات على مؤلفيها أو المختصين فيها .الأمر الذي أعطى دفعا وفعالية للحركة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس.

المبحث الرابع :الرحلات العلمية وكثرة الشيوخ :

ساهمت الرحلة في طلب العلم وفرصة لقاء الشيوخ ومذاكرتهم في تدوين العلوم ،فتسابق العلماء وطلاب العلم إلى الإكثار من الرحلة ،فمنهم من قضى ثلاث سنوات ،ومنهم من قضى سبع سنوات، ومنهم من قضى أزيد من أربعين عاما، ويليق بنا أن نشير في هذا السياق إلى الفقيه اللخمي أبي الأصبغ الإشبيلي (ت 350هـ/962م)الذي رحل إلى المشرق وتردد بمكة أعواما بغرض كتابة الحديث وكان يقول :((لا أدخل الأندلس ،حتى أدخل بغداد وأكتب فيها الحديث والآداب والأشعار وانصرف إلى الشام فاكتب بها ،وانقضي كتابة اسمعتي ثم أصدر –أعود – إلى الأندلس))[2].

المطلب الأول:الرحلة إلى المشرق الإسلامي والأندلس:

ارتبطت الحركة العلمية والفكرية لبلاد المغرب الإسلامي والأندلس في بادئ الأمر بالمشرق خاصة مصر والحجاز والعراق، وساهمت بشكل كبير في انتقال العلماء ومصنفاتهم من وإلى بلاد المغرب الإسلامي والأندلس.

كما شهدت بلاد المغرب الإسلامي و الأندلس توافدا كبيرا للعلماء المشارقة الذين قدموا بهدف نيل العلم والمعرفة على أيدي شيوخها وعلمائها ،وقد أشار إلى ذلك المؤرخ المقري التلمساني في كتابه "نفح الطيب "، وخصص بابا بعنوان "باب الوافدين على الأندلس من أهل المشرق "،ثم قال ما مفاده :" ...إعلم أن الداخلين إلى الأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تُحصر

[1]– ابن الفرضي :المصدر السابق ،ج1،ص109.

[2]– ابن الفرضي :المصدر السابق ،ج1، ص:331.

الأعيان منهم ،فضلا عن غيرهم ،ومنهم من اتخذها وطنا وصيرها سكنا ،إلى أن وافَتْه مَنِيَتُهُ ،ومنهم من عاد إلى المشرق بعد أن قُضِيتْ بالأندلس مُنيتُه "[1].

ثم إن مازاد من مكانة وفضل للأندلس في تطور العلوم وتقدمها ،هي العلاقة التي بدأت بين المشرق الإسلامي وبلاد المغرب الإسلامي والأندلس ،والثقافة العربية المغربية والأندلسية ،وتأثرها في بداياتها الأولى بالثقافة العربية المشرقية بشكل كبير ،وهو ما عابه المؤرخ ابن بسام الشنتريني(ت 542هـ/1148م) على أهل الأندلس بقوله :((...إلا أن أهل هذا الأُفق –الأندلس –أبُو إلا مُتابعة أهل المشرق ،يرجعون في أخبارهم المعتادة ،رجوع الحديث الى قتادة ،حتى اذا نعق بتلك الافاق غراب ،او طن بأقصى الشام والعراق ذباب ،لجثوا على هذا صنعا ،وتلوا في ذلك كتابا محكما ،واخبارهم الباهرة ،واشعارهم السائرة ،مرمى القصيد ،ومناخ الرذية ،لا يعمر بها جنان ولا خلد ،ولا يعرف فيها لسان ولا يد ...)) .[2]

كما أن من بين المدن الأكثر جذبا واستقطابا للعلماء وطلبة العلم نجد :

–في بلاد المشرق الاسلامي نجد بغداد ثم مكة ثم مصر

–في بلاد المغرب الاسلامي نجد القيروان ثم فاس ثم القلعة ثم مراكش .

–في بلاد الأندلس نجد قرطبة ثم اشبيلية ثم غرناطة .

أما المدن الأخرى في المشرق الإسلامي والمغرب والأندلس فقد قصدها الطلبة إما لأنها تحوي على علماء كبار ،وإما أن الطلبة وصلوا إليها بحثا عن العلم وأهله .

كما شهدت الفترة مابين القرنين(3-6الهجريين /9-12م)ظهور علماء رحالة كثيرون ضربوا أمثلة رائعة في الصبر على تحصيل العلم وتحمل مشاقه .

كما ساهمت الرحلة في تمكين الطلبة من لقاء الشيوخ والاحتكاك بالعلماء ،وسهولة تصحيح المعلومات ،وتحصيل الملكات ورسوخها ،ومعرفة مناهج البحث العلمي ،اذ لكل شيخ طريقته ،ولكل علم مصطلحاته[3].

---

[1]– المقري :المصدر السابق ،ج3،ص:05.

[2]– ابن بسام أبي الحسن علي الشنتريني ،**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ،تح.إحسان عباس،د.ط ،دار الثقافة ،بيروت ،1997م ،ق1،مج1،ص:12.

[3]– خالدكبير علال :المرجع السابق ،ج1،ص55.

المطلب الثاني:كثرة الشُيوخ وظهورالمشيخات والمعاجم

فتحت الرحلات العلمية مجالات واسعة امام الطلبة للاطلاع على الجديد من الافكار والمذاهب ،وأثرت ثقافتهم بما حفظوه من أشعار وأقوال ،وحكم ونصوص وغذت فيهم الفضائل وكمالات النفس ،وعلمتهم أخلاق الصُحبة والصبر [1].وتقبل آراء الغير ،وساعدتهم على نشر العلم الذي سبق وان حصلوه في المدن التي دخلوها ،فأعطوا وأخذوا ، كما سمحت الرحلة للعلماء بالتعرف على المسالك والممالك وفتحت لهم مجالات واسعة لجمع المصنفات القيمة والأصول النادرة[2] .

وقد حفظت لنا كتب التراجم والسير لأسماء كثيرة جدا من عُلماء بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، ممن شهدت لهم بكثرة الشيوخ ،منهم الفقيه أبو المطرف عبدالرحمن بن عبيدالله القرطبي (ت369هـ/980م)عدد ((شيوخه الذين كتب عنهم أزيد من أربعمائة شيخ)) [3]،والفقيه خلف بن قاسم بن سهل بن محمد الازدي القرطبي(ت393هـ/1004م)،"عدة شيوخه الذين لقيهم وكتب عنهم 268شيخا[4]،والفقيه محمد بن وضاح بن بزيغ القرطبي (ت287هـ/898م)عدد شيوخه الذين سمع منهم 175رجلا[5]،والفقيه محمد بن قاسم بن محمد بن سيار القرطبي (ت327هـ/935م)،عدد شيوخه 163شيخا[6]،والفقيه يحي بن مالك بن عائذ الطرطوشي(ت 375هـ/986م)،الذي ((سمع ببغداد من أكثر من 700رجل)) [7]، والفقيه ابن عقيق الأنصاري القرطبي (ت598هـ/1197م)،بلغ عدد شيوخه ((أزيد من 150 كلهم أعلام مشاهير)) [8]،والقاضي عياض أبو الفضل عياض(ت544هـ/1147م)،الذي ((اجتمع له من الشيوخ نحوامن مائة شيخ)) [9]،والمؤرخ ابن بشكوال خلف بن عبدالملك بن سعود(ت578هـ/1177م)الذي تجاوز عدد شيوخه الأربعمائة

[1]- خالدكبير علال :المرجع السابق ،ج1،ص55.
[2]- خالدكبير علال :المرجع السابق ،ج1،ص56.
[3]- ابن الفرضي: المصدر السابق ،ج1،ص:307.
[4]- ابن الفرضي: المصدر السابق ،ج1،ص:163-164.
[5]- ابن الفرضي: المصدر السابق ،ج2،ص:17-18.
[6]- ابن الفرضي: المصدر السابق ،ج2،ص:48.
[7]- ابن الفرضي: المصدر السابق ،ج2،ص:191-192.
[8]- ابن مخلوف: المصدر السابق ،ص:161.
[9]- ابن مخلوف: المصدر السابق ،ص:140-141.

شيخ[1]،والفقيه ابو العباس الوليدبن بكر الغمري السرقسطي(ت392هـ/1005م)،الذي ذكر أنه((لقي أكثر من ألف شيخ بين محدث وفقيه وسمع منهم)) [2].

ويتبين مما ذكرناه عن عُلماء المالكية في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس الأكثر شيوخا، أن أبا العباس السرقسطي هو أكثرهم شيوخا ،ثم يحي بن مالك بن عائذ ب700شيخ ،ثم يليهما المؤرخ ابن بشكوال بعدد قليل –بالنسبة إليهما –كما هو مبين في الجدول أدناه [3]. وأقلهم شيوخا القاضي عياض السبتي بمائة شيخ .

المرتبة	اسم الفقيه	عدد الشيوخ
الأولى	ابوالعباس الوليدالسرقسطي(ت392هـ/1004م)	1000
الثانية	يحي بن مالك بن عائذ(ت 375هـ/986م)	700
الثالثة	ابن بشكوال (ت578هـ/....م)/ أبو المطرف عبدالرحمن	400
الرابعة	ابو الحجاج يوسف الهذلي الاندلسي المقرئ	365
الخامسة	خلف بن قاسم بن سهل(ت393هـ/1004م)	268
السادسة	محمدبن احمدبن محمد بن مفرج (ت380هـ/992م)	201
السابعة	محمد بن وضاح (ت287هـ/898م)	175
الثامنة	اسماعيل بن محمد بن خزرج (ت 421هـ/1033م)	174
التاسعة	محمدبن قاسم بن سيار(ت327هـ/935م)	163
العاشرة	ابن عقيق الأنصاري القرطبي (ت598هـ/1197م)	150

[1]– ابن فرحون: الديباج ،ص:185.

[2]– المصادر تم ذكرها في الفقرة السابقة من هذا المطلب.

3

الحادي عشر	القاضي عياض (ت544هـ/1147م)	100

وبهذا يمكننا القول بأن كثرة شيوخ العلم ،وتعدد التخصصات العلمية وبروز الموسوعية كل ذلك ساهم في تكوين الطلبة وأيضا أدى إلى ظهور كتب التراجم والبرامج والمشيخات الحافلة بسير الشيوخ والعلماء .

المبحث الخامس :بروز الأُسر والبيوتات العلمية :

ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس أُسر وبيوتات علمية توارثت العلم والمناصب من كُتاب وأطباء وقُضاة وفقهاء ومحدثين في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس.

المطلب الأول:في المغرب الإسلامي :

ومن هذه الأُسر والبيوتات العلمية ببلاد المغرب الإسلامي نجد أسرة أبي مروان عبدالملك بن زيادة الله الطُبني ،من طُبنة ببلاد المغرب الإسلامي ،قال عنه المؤرخ ابن بسام:((أول من بنى بيت آل الطبني بالأندلس ورفع بالأندلس صوته بنباهة سلفهم ،من أهل بيت اشتهروا بالشعر ،اشتهار المنازل بالبدر)) [1]. ،ووالده زيادة الله بن علي بن حسين التميمي الطبني (ت415هـ/1027م)،كان من أهل العلم بالأدب واللغات والأشعار ،كثير الغرائب ،روى عنه ابنه أبو مروان عبدالملك [2].

ومن الأسر والبيوتات العلمية ببلاد المغرب الإسلامي نجد أسرة بني تانماك بينزاك –بربرية –قال عنهم الجغرافي ابن حوقل :((فيهم رياسة وعلم وفقه وسياسة إلى علم بالسير واضطلاع بالأثر والخبر)) [3].،والملاحظ على هذه الأُسر والبيوتات أنه لم يكن لها انتاج علمي ،ولعل ذلك راجع إلى توليها مهام التدريس والمناصب العليا في الدولة كالقضاء والحسبة وتأديب أبناء الأمراء و الخلفاء وغيرها .

[1]– ابن بسام الشنتريني ،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،ق1،مج1،ص535.
[2]– ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ج1 ،ص304.
[3]– ابن حوقل ،صورة الأرض ،ص102.

ومن الأسر والبيوتات العلمية ببلاد المغرب الإسلامي نجد أسرة أبي مروان الطبني: زيادة الله عبد الملك مروان ،قال عنهم المقري التلمساني :"من أهل بيت اشتهروا بالشعر اشتهار المنازل بالبدر "طرأوا على قرطبة قبل افتراق الجماعة، وأناخو في ظلها ولحقوا بسروات أهلها)) [1]، وأبو مضر أبوه زيادة الله بن علي التميمي الطبني (ت 394هـ/1004م)، هو أول من بنى بيت بني الطبني في بلاد الزاب[2]، كان في أيام المستنصر بالله وله علم بأخبار العرب وأنسابهم[3]، ومنهم أبو مروان (ت457هـ/1065م)، كان عالما باللغة والحديث، رحل إلى المشرق ولقي العلماء، وكتب عمن لقي من العلماء، وعند رجوعه إلى الأندلس أملى كثيرا من تقييداته[4].

و من البيوتات الشهيرة ببلاد المغرب الإسلامي نجد أسرة القاضي عياض السبتي ، ينحدر منها القاضي عياض السبتي اليحصبي (ت 544هـ/1151م)،قال عنه ابن فرحون :((كان إمام وقته في الحديث وعلومه ،عالما بالتفسير وجميع علومه ،فقيها ،أصوليا ،عالما بالنحو ،واللغة ،وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم ،بصيرا بالأحكام ،عاقدا للشروط ،حافظا للمذهب))[5]،وقدأشار أبو الفضل أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض-ابنه -إلى أصل أجدادهم ومستقر سكناهم فقال :"إستقر أجدادنا في القديم بالأندلس جهة بسطة ،ثم انتقلوا إلى مدينة فاس ،وكان لهم إستقرار بالقيروان لا أدري أقبل استقرارهم بالأندلس أم بعد ذلك ،وانتقل عمرون إلى سبتة بعد سُكنى فاس)) [6]،ولذلك يقول عبد الله بن حكم :« و كانت لهم بالقيروان

[1]المقري: نفس المصدر ، ج2، ص: 496.

[2]ابن الخطيب لسان الدين : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، تح .محمد عبدالله عنان ،ط 02،مكتبة الخانجي ،مصر ،1393هـ/1973م ،ج1، ص: 163 .، الزركلي خير الدين : الأعلام، ج6، ص: 98.

[3]الزركلي: خير الدين: نفس المصدر ، ج6، ص: 98.

[4]الزركلي خير الدين: نفس المصدر ، ج4، ص: 158-159.

[5]ابن فرحون :الديباج ،ج2،ص:47.

[6]أبو عبدالله محمد بن عياض :**التعريف بالقاضي عياض**،تح.محمد بن شريفة ،ط02،وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف ،المملكة المغربية، 1982م،ص:2-3.أنظر :ابن فرحون :الديباج ،ج2،ص:48.

مآثر عليها لمحض الحق أوضح برهان »[1].، ويضيف أيضا – أبو عبدالله بن االقاضي عياض – :"وكان عمرون والد جد أبي رجلا خيرا صالحا من أهل القرآن ،حج إحدى عشرة حجة ،وانتقل من مدينة فاس إلى مدينة سبتة ،والسبب في ذلك أنه كانت له ولآبائه نباهة ....." [2]،ومنهم أيضا عياض بن محمد بن عياض بن موسى حفيد القاضي (ت 630هـ/1216م)،((كان من ذوي المشاركة في فنون العلوم العقلية وغيرها ،روى **عن أبيه** أبي عبدالله وأبي بكر بن الحداد ،وأبي القاسم ابن بشكوال ،وروى **عنه ابنه** أبو عبدالله [3].

و من البيوتات الشهيرة ببلاد المغرب الإسلامي نجد أسرة أسرة محمد التميمي التاهرتي: من مدينة تيهرت ببلاد المغرب الأوسط ،من البيوتات الشهيرة ببلاد المغرب الاسلامي ،ينحدر منها الفقيه أحمد بن قاسم بن عبدالرحمن بن عبدالله (ت 395هـ/1011م)،((دخل قرطبة صغيرا مع والده ،سكن بمسجد مسرور بقرطبة ،وكان إسماعه بمسجد سريج ،وكان **أبوه** محدثا)) [4].

و من البيوتات الشهيرة ببلاد المغرب الإسلامي نجد أيضا أسرة الفقيه عبد الله بن أبي زيد القيرواني : من البيوتات الشهيرة ببلاد المغرب الإسلامي ،ينتمي إليه الفقيه عبد الله أبو محمد بن زيد القيرواني (ت386هـ/998م)،قال عنه المؤرخ ابن فرحون :((كان إمام المالكية في وقته ،وجامع مذهب مالك ،وشارح أقواله ،وكان واسع العلم ،كثير الحفظ والرواية))ثم قال أيضا:((حاز رئاسة الدين والدنيا ،وإليه كانت الرحلة من الأقطار ،نجب أصحابه ،وكثر الآخذون عنه)) [5].

[1]أبو عبدالله محمد بن عياض :المصدر السابق ، 3.
[2]أبو عبدالله محمد بن عياض :نفس المصدر ،ص: 3.
[3]ابن فرحون :الديباج،ج2 ،ص: 52.
[4]ابن بشكوال :الصلة ،ج2 ،ص: 140.
[5]ابن فرحون :**الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب** ،تح. مأمون بن محيي الدين الجنان ،ط01،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،1417هـ/1996م ،ص: 221ومابعدها .

من خلال ماتقدم ،يمكن التأكيد على أن بلاد المغرب الإسلامي شهدت ظهور العديد من الأسر والبيوتات العلمية ،ساهمت بانتاجاتها العلمية والفكرية في إثراء الحركة العلمية المالكية .

المطلب الثاني:في بلاد الأندلس:

ظهرت في بلاد الأندلس الكثير من الأسر و البيوتات العلمية التي توارثت العلم والمكانة ،من الفقهاء والقضاة والمحدثين والأطباء ،كان لها الأثر البارز في تنشيط الحركة العلمية المالكية بالأندلس .

ومن هذه الأسر العلمية نجد،أسرة بني الأصبغ ،ينتسب إليها موسى بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير (320هـ/932م)،وصفه الزركلي بأنه كان من ((بيت مجد ،غزير العلم)) [1].

وأسرة بقي بن مخلد بن يزيد ،أبو عبدالرحمن القرطبي الأندلسي (ت 276هـ/887م)،الحافظ والمفسر والمحقق [2].وينحدر من هذه الأسرة أبو القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن (ت671هـ/1113م) الذي كان من ((عُلماء القضاة ومن الكتاب الشعراء ،بالإضافة إلى تقدمه في علوم العربية)) [3].،ومنهم أيضا أبو بكر يحي بن عبدالرحمن بن بقي (ت 540هـ/1145م)الشاعر اشتهر بإجادة الموشحات [4].،وينحدر منهم أيضا محمد بن احمد بن مخلد بن عبدالرحمن بن احمد قال عنه المؤرخ ابن بشكوال :((كان من بيتة علم ونباهة ،وفضل وجلالة)) [5].

ومن الأُسر والبيوتات العلمية نذكر أيضا ،أسرة بني مسعدة ،بن ربيعة بن صخر بن شراحيل بن عامر بن الفضل بن بكر ينتهي نسبهم إلى ميمونة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها ،ومنزل جدهم الداخل إلى الأندلس ((بكر بن بكار بن البدر بن سعيدبن عبدالله))متواجد في اقليم إلبيرة .قال عنهم المؤرخ ابن الصيرفي :((منزل بني مسعدة ،موضع كرم ومحمدة ،ينتسبون في

[1]- الزركلي ،الأعلام ،ج7،ص327.
[2]- الزركلي ، المصدر السابق ،ج2،ص60.
[3]- الزركلي ، المصدرالسابق ،ج2،ص60.
[4]- الزركلي ، المصدرالسابق ،ج8،ص152.
[5]- ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ج3،ص 805.

عامر بن صعصعة ،وهم أعيان علية ،فرسان أكابر ،وحُجاب وكتاب ووزراء ،لشرف بيتهم وأصالته وعلوه وجلالته)) [1].

ومن هذه الأُسر أيضا أُسرة أحمد بن محمد بن أضحى بن عبداللطيف الهمذاني الإلبيري،كان بيتهم ((بيت سماحة وفصاحة وخطابة ،فعلا شرفه بهذه الخصال)) [2].

ومن هذه الأُسروالبيوتات أيضا أُسرة أبي عبدالله محمد بن أحمد الباجي اللخمي (ولد سنة 356هـ/968م)،سمع من والده وجده ،ورحل إلى المشرق ،قال عنهم المؤرخ المقري التلمساني صاحب النفح :((بيتهم بيت علم ،ونشأ هو ووالده وجده ،وكان جميعهم في الفضل والتقدم على درجاتهم في السن)) [3].

ومن الأُسر والبيوتات العلمية بالأندلس التي تبوأت المناصب العليا في الوزارة نذكر آل عبيدة [4]،وآل شهيد[5]،وآل فطيس[6]قال عنهم ابن خاقان :((من الخلفاء وأصحاب الردافة ،وأولي الشرف والإنافة)) [7].

والملاحظ أيضا،أن أغلب هذه الأُسر لم يعمر نشاطها العلمي طويلا كأُسرة الفقيه ابن حزم (ت 456هـ)،والفقيه ابن عبدالبر(ت 463هـ) ،والفقيه أبي الوليد ابن رشد الجد (ت 520هـ)والفقيه ابن أبي زيد القيرواني(ت 386هـ) والفقيه القاضي عياض(ت544هـ) والحافظ أبي بكر ابن العربي (ت543هـ)،وغيرها من الأُسر والبيوتات العلمية في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس .

---

[1]- الزركلي ،الأعلام ،ج1،ص163.

[2]- ابن الخطيب ،**الإحاطة في أخبار غرناطة** ،ج1،ص ص150-152,

[3]- المقري ،المصدر السابق ،ج2،ص215.

[4]- عبدة وآل عبدة :ينسبون إلى آل عبدة حسان بن مالك بن عبدالله بن جابر الداخل إلى الأندلس سنة 113هجرية ،وهم والجهاورة من أصل واحد .، الحلة السيراء،المصدر السابق ،ج1،ص245.

[5]- آل شهيد :قال عنهم الرازي "جدهم وضاحا مولى معاوية بن مروان بن الحكم ،وكان مع الضحاك بن قيس يوم مرج راهط راهط ،وشهيد بن عيسى هو الداخل الى الاندلس في أيام عبدالرحمن بن معاوية ،وقد تولى بنوه للخلفاء في خطط الإمارة الحجابة والوزارة والكتابة إلى انقراض الدولة الاموية .الحلة السيراء ،ج1،ص238.

[6]- بنو فطيس :ينسبون الى فطيس بن سليمان بن عبدالملك بن زيان الداخل إلى الأندلس أيام الأمير عبدالرحمن بن معاوية ،وقد ولاه هشام بن عبدالرحمن السوق وأمضاه ابنه الحكم على ذلك .الحلة السيراء ،ج2،ص365.

[7]- ابن خاقان ،مطمح الأنفس ومسرح التأنس ،ص163.

وأما عن انتاجاتهم العلمية ،فنجد بأن كل من أُسرة الفقيه ابن أبي زيد القيرواني(ت 386هـ/998م) ،و أُسرة الحافظ ابن حزم (ت 456هـ/1070م)،و أُسرة الفقيه ابن عبدالبر النمري (ت 463هـ/1077م) ،و أُسرة الفقيه ابن رشد الجد (ت 520هـ/1123م)،و و أُسرة القاضي عياض(ت544هـ/1147م) ،و أُسرة الحافظ أبي بكر ابن العربي (ت543هـ/1146م).كان لها- هذه الأُسر العلمية – نشاطها العلمي وإنتاجها الفكري .

كما ساهمت هذه الأسر والبيوتات بشكل كبير في نشر العلم وتفعيل الحركة العلمية ،والإعتناء بطلاب العلم ،وتأليفها للمصنفات وعقدها لمجالس العلم والمناظرات.

خاتمة :

في ختام هذا البحث ،يمكن التأكيد على أن الحركة العلمية المالكية في المغرب الإسلامي والأندلس ،خلال القرنين الثالث والسادس الهجريين /9-12م ،أنها كانت متنوعة ومزدهرة ،اتخذت أشكالا ومظاهر مختلفة ،كالمناظرات ،والرحلة في طلب العلم ولقاء الشيوخ ،وقراءة المصنفات على مصنفيها ،وكثرة الحواضر العلمية ،ووجود الأسر والبيوتات العلمية التي توارثت العلم ،الأمر الذي ساهم في إعطاء فعالية ودفعة قوية للحركة العلمية المالكية ،وكذا في الإعلاء من شأن المذهب المالكي ونصرته ونشره بين أهل المغرب الإسلامي والأندلس .

قائمة المصادر والمراجع:

أ-المصادر :

-ابن الآبار أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي،**كتاب الحلة السيراء**،ط02،دار المعارف ،القاهرة ،مصر . 1985.

- ابن بسام ابي الحسن علي الشنتريني :الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،تح.إحسان عباس،د.ط ،دار الثقافة ،بيروت ،1417هـ/1997م ،

-الجزنائي علي :**جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**،ط02،،الرباط ،المملكة المغربية،1991 .

- الحِميرِي أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن عبد المنُعم:**الروض المعطار في خبر الأقطار**،تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ، ط02،دار الجيل ،بيروت ،لبنان،1408هـ/1988م ،

- الزهري ابوعبدالله بن محمد بن ابي **بكر :كتاب الجعرافية**،تح.محمد حاج صادق ،د.ط،مكتبة الثقافة الدينية ،مصر ،د.ت.ن،

-المقري أحمد بن محمد المقري التلمساني : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،تحقيق إحسان عباس ،د .ط،دار صادر ،بيروت ،لبنان ،د.ت.ن.

- ابن كثير أبي الفداء اسماعيل: **تفسير القرآن الكريم**، ط2، دار الإمام مالك، الجزائر،2009م.

- ابن عبد الملك أبو عبدالله بن محمد المراكشي : **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**،تح.إحسان عباس،ط01،دار الثقافة ،بيروت.

- صاعد الأندلسي: **طبقات الأمم** ،ط01،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان ،1985م.
- الضبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة : **بُغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** ،تح.إبراهيم الأبياري ،ط01،دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني مصر لبنان ،1410هـ/1989م.

-ابن خاقان أبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله: **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تحقيق محمد علي شوابكة، الطبعة 01، دار عمار مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.

- ابن فرحون :**الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب** ،تح. مأمون بن محيي الدين الجنان ،ط01،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،1417هـ/1996م

- ابن حزم :**جمهرة أنساب العرب** ،ط05،دار المعارف ،مصر،1962م . -
- ابن الخطيب لسان الدين : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، تح .محمد عبدالله عنان ،ط 02،مكتبة الخانجي ،مصر ،1393هـ/1973م.

- عبد الواحد بن علي المراكشي ،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،ط01،المكتبة العصرية ،بيروت ،لبنان،2006م .
- محمد بن سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م.
-ياقوت الحموي شهاب الدين ابو عبدالله :معجم البلدان ،د.تح ،دار صادر ،د.ت.ن،

ب-المراجع:

- حسن ابراهيم حسن:**تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي**، الطبعة 14، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،د،ت،ن.

- بيدرسنيوهنس:**الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصرالطباعة** ،دون طبعة ، ،دار الأهالي للطياعة والنشر والتوزيع ،دمشق،سوريا،1989م.

- الزركلي خير الدين: **الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** –، ط 15،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،2002.

- زيغريدهونكة: **شمس العرب تسطع على الغرب** ،ط 08،دار الجيل دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،لبنان،1993م.

- حامد الشافعي دياب:**الكتب والمكتبات في الأندلس** ،ط01،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،1998م.

-محمد إبراهيم زغروت: **مكتبة الأمويين الإسلامية في قرطبة وتأثيرها الفكري في شعوب غرب أوروبا** ،مجلة البحوث الإسلامية ،2006م.

- منير رويس: **الحياة الثقافية والعلمية بإفريقية من خلال كتاب رياض النفوس** جامعة تونس،1988م.

- لقبال موسى: **عقبة بن نافع الفهري** ،د.ط،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر، 1985.

-الرسائل الجامعية:

- خالد كبير علال: **الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق الإسلامي (خلال القرنين 6-7هـ/12-13م)**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، تحت إشراف: عبد الحميد حاجيات، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،(الجزائر)، 2001-2002م.